مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

العدد الخاص – آب – Augustus / 2025

الجذور التأريخية والتطورات الفنية للمسرح العراقي من الموصل إلى بغداد

م.م. منتصر خشلان يسر[1]

[1] مدرس المديرية العامة لتربية ذي قار - العراق

mntasra8@gmail.com

الملخص: نستعرض هنا تطوّر المسرح العراقي من جذوره الأولى في مدينة الموصل خلال أواخر القرن التاسع عشر إلى نضوجه في العاصمة بغداد خلال القرن العشرين، مشدداً على أهمية البعد الديني والتربوي في نشأة هذا الفن، قبل تحوله إلى ظاهرة ثقافية وطنية، فبيّن البحث كيف أن الموصل، بتركيبتها الدينية والثقافية المتنوعة، هيئة بيئة حاضنة للمسرح المدرسي المرتبط بالمدارس التبشيرية المسيحية، والتي استخدمت المسرح كأداة تعليمية وأخلاقية، فمن خلال هذه النشأة، بدأ المسرح يأخذ طابعاً بشكل محلي محافظاً، لكنه سرعان ما تأثر بالثقافة الأوروبية وصل عن طريق نصوص مترجمة ومقتبسة، ما أوجد تفاعلاً خصباً بين المحلي والعالمي، ومع انتقال النشاط المسرحي إلى بغداد، شهد المسرح انتقالة نوعية مدعومة بمؤسسات تعليمية مثل معهد الفنون الجميلة، وبتأسيس فرق رسمية، مما مهّد لظهور حركة مسرحية احترافية ارتبطت بمشاكل المجتمع العراقي، وقد لعب المسرح البغدادي دوراً بارزاً في التعبير عن قضايا اجتماعية وسياسية، متخذاً من تقنيات مثل "الواقعية الرمزية" وسيلة للالتفاف على الرقابة، ودمج التراث الشعبي مع أساليب الأداء الحديثة، يؤكد البحث أن تجربة الموصل كانت جسراً بين التقليد والحداثة، وأن تجاهلها في الدراسات المسرحية العربية يخلّ بفهم السياق الكامل لنشأة المسرح العراقي، رغم نشأته المتواضعة، تمكن من لعب دور جوهري في صياغة الهوية الثقافية الوطنية، ويوصي هذا البحث بضرورة توثيق المرحلة الموصلية، وإدراج تأريخ المسرح العراقي في المناهج الدراسية، ودعم المسرح المستقل،، وتشجيع التبادل مع التراث الشعبي كرافد إبداعي معاصر.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

الكلمات المفتاحية: المسرح العراقي، الجذور التاريخية، الموصل، التطور الفني، المسرح والتعليم، الهوية الوطنية، بغداد.

Abstract: This research examines the development of Iraqi theatre from its early roots in Mosul during the late nineteenth century to its maturity in the capital, Baghdad, during the twentieth century. It emphasizes the importance of the religious and educational dimension in the emergence of this art form, before its transformation into a national cultural phenomenon. The research demonstrates how Mosul, with its diverse religious and cultural composition, formed an incubator environment for school theatre linked to Christian missionary schools, which used theatre as an educational and moral tool. Through this emergence, theatre began to take on a conservative local character, but it was soon influenced by European culture through translated and adapted texts, creating a fertile interaction between the local and the global. With the transfer of theatrical activity to Baghdad, theatre witnessed a qualitative shift supported by educational institutions such as the Institute of Fine Arts, and the establishment of official troupes, which paved the way for the emergence of a professional theatre movement linked to the concerns of Iraqi society. Baghdadi theatre played a prominent role in expressing social and political issues, adopting techniques such as "symbolic realism" as a means of circumventing censorship and integrating popular heritage with modern performance methods. The research confirms that The Mosul experience was a bridge between tradition and modernity, and ignoring it in Arab theater studies undermines the full understanding of the origins of Iraqi theater**.** The study adopted a historical analytical methodology based on primary and secondary sources. It concluded that Iraqi theater, despite its modest origins, was able to play a fundamental role in shaping national cultural identity. This research recommends documenting the Mosul period, incorporating the history of Iraqi theater into school curricula, supporting independent theater, and encouraging interaction with popular heritage as a contemporary creative resource**.**

Keywords: Iraqi theater, historical roots, Mosul, artistic development, theater and education, national identity, Baghdad.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

1. المقدمة:

يُمثل المسرح في العراق ظاهرة ثقافية وحضارية تعكس تفاعل المجتمع مع فنون الأداء وتطورها عبر حقب زمنية متعاقبة، وقد شكّلت مدينة الموصل، بحكم تنوعها الديني والثقافي وموقعها الجغرافي، حاضنةً مبكرةً لهذا الفن في أواخر القرن التاسع عشر، إذ ارتبطت نشأته بالمدارس التبشيرية المسيحية التي استخدمته كأداة تعليمية وتربوية، ومن خلال هذه البيئة المحافظة نسبياً، التي جمعت بين الأصالة والانفتاح على التأثيرات الأجنبية، اتضحت ملامح المسرح العراقي الأولية، ليتطور لاحقاً في بغداد خلال القرن

العشرين، مُتخذاً أبعاداً فنية واجتماعية وسياسية أكثر تعقيداً.

وستقوم هذه الدراسة بتتبع المسار التاريخي للمسرح العراقي، بدءًا من جذوره الموصلية المرتبطة بالفضاء الديني والتعليمي، وصولاً إلى مرحلة النضج في بغداد، إذ تحول إلى وسيلة للتعبير عن الهوية الوطنية والهموم المجتمعية، كما تتناول العوامل الثقافية والسياسية التي أسهمت في تشكيل هويته الفريدة، من تأثير البعثات الأجنبية إلى دور المؤسسات التعليمية والرسمية، وتكمن أهمية هذا البحث في كشفه عن الدور التأسيسي لمدينة الموصل، الذي غالباً ما يُغفل في الدراسات المسرحية العربية لصالح المراحل اللاحقة في العاصمة بغداد، رغم أن الممارسة الموصلية مثلت جسراً بين التقليد والحداثة، وبين المحلي والعالمي، واعتمدت الدراسة على منهجية تحليلية تاريخية، تستند إلى مصادر أولية وثانوية تناولت تأريخ المسرح العراقي، كما تُبرز هذه الدراسة كيف استطاع المسرح، رغم محدودية الإمكانيات في بداياته، أن يتحول من نشاط مدرسي محلي إلى ظاهرة ثقافية واسعة، تُعبّر عن تحولات المجتمع العراقي وتطلعاته، وفي هذا السياق، تُقدم الدراسة قراءة نقدية للعلاقة الجدلية بين الفن والسلطة، وبين الأصالة والاقتباس، التي طبعت المسرح العراقي منذ بداية وجوده وحتى مراحل تطوره المتقدمة.

1.1. أهميـة البحث:

يُعد هذا البحث مساهمةً أكاديميةً في توثيق التأريخ الثقافي للعراق من خلال دراسة تطوُّر المسرح كظاهرة فنية جتماعية. تكمن أهميته في:

1. الكشف عن الجذور التاريخية للمسرح العراقي في الموصل، والتي غالبًا ما تُهمَل في الدراسات العربية لصالح المراحل اللاحقة في بغداد.
2. تحليل التفاعل بين الدين والتعليم والفن، وكيفية توظيف المسرح كأداة تربوية في بيئة محافظة.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

3. رصد التحوُّل من المحلية إلى الوطنية، عبر انتقال التجربة المسرحية من الموصل إلى بغداد وارتباطها بتشكُّل الهوية العراقية الحديثة.
4. إبراز دور المسرح كوسيط ثقافي بين التراث المحلي والتأثيرات الأجنبية، مما يجعله نموذجًا لدراسة التثاقف في السياق العربي.

1.2. هدف البحث:

1. تتبع المسار التاريخي لنشأة المسرح العراقي وتطوره، بدءًا من جذوره الدينية والتعليمية في الموصل، وصولًا إلى مرحلة النضج الفني والسياسي في بغداد.
2. تحليل العوامل الاجتماعية والسياسية التي شكلت هوية المسرح العراقي، ودوره في التعبير عن قضايا المجتمع.

1.3. مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الافتقار إلى دراسات شاملة تربط بين نشأة المسرح في الموصل وتطوره في بغداد، رغم الترابط العضوي بينهما، والغموض حول دور المؤسسات الدينية والتعليمية في تكوين الوعي المسرحي المبكر، وكيفية تجاوزها التحفظات الاجتماعية.

1.4. السؤال الرئيسي:

كيف نشأ المسرح العراقي وتطور من كونه نشاطاً مدرسياً دينياً في الموصل إلى ظاهرة فنية واجتماعية مؤثرة في بغداد؟

1.5. الأسئلة الفرعية:

1. ما العوامل التي ساهمت في نشأة المسرح في الموصل، وكيف تفاعل مع البيئة المحافظة؟
2. كيف انتقلت التجربة المسرحية إلى بغداد، وما التحوُّلات التي طرأت على شكلها ومضمونها؟
3. ما تأثير المتغيرات السياسية على توجُّهات المسرح العراقي؟
4. كيف تمازجت التاثيرات الأجنبية مع الموروث المحلي لخلق هوية مسرحية عراقية مميزة؟

2. منهج البحث:

يعتمد هذاالبحث منهجيا متكاملا يجمع بين التحليل التاريخي والدراسة الوصفية النقدية، بهدف رصد نشأة المسرح العراقي وتطوره من مراحله الأولى في الموصل إلى مرحلة النضج في بغداد، يعتمد البحث على تحليل المصادر الأولية كالوثائق الأرشيفية، والمذكرات الشخصية، إلى جانب المصادر

الثانوية المتمثلة في الدراسات الأكاديمية، كما يوظف المنهج المقارن لدراسة التحولات في النصوص المسرحية من الدينية إلى العلمانية، والبيئات الجغرافية، علاوة على عن المنهج النقدي في تحليل تأثير العوامل السياسية والاجتماعية على المضامين الفنية.

2.1. المبحث الأول: النشأة التأريخية للمسرح في الموصل

تُعد مدينة الموصل نقطة الانطلاق الأولى لنشوء المسرح العراقي الحديث في أواخر القرن التاسع عشر، حيث ساهمت العوامل الدينية والتعليمية في ولادة هذا الفن داخل بيئة محافظة نسبيًا، وقد لعبت المدينة بموقعها الجغرافي وتنوعها الديني والثقافي، دوراً محورياً في تهيئة الأرضية الاجتماعية والثقافية التي مكنت من نشوء أولى ملامح الفعل المسرحي في العراق، فقد اتسمت الموصل في تلك الحقبة بوجود جاليات دينية متعددة، من مسلمين ومسيحيين ويهود، إلى جانب نشاط تعليمي ملحوظ قادته الإرساليات الأجنبية والمدارس الأهلية، وهو ما أفرز فضاءً خصباً للتجريب المسرحي الأولي، وقد ارتبطت البدايات المسرحية بشكل وثيق بالمدارس التبشيرية المسيحية، مثل مدرسة الآباء الدومينيكان (1856م)، التي كان يرأسها آنذاك الأب بيري، ومدرسة الشرفة الكلدانية (1848)، والتي وضع أساسها البطريرك ميخائيل جروه، حيث استُخدم المسرح كوسيلة تعليمية وتربوية، فكانت العروض الأولى تستند على نصوص دينية مسيحية مثل قصة الميلاد والفصح، وتُقدَّم باللغات السريانية والعربية، وتستهدف تعزيز القيم الدينية والأخلاقية، فلعبت المدارس التبشيرية وخاصة تلك التابعة للطوائف المسيحية مثل الكلدانية والآشورية، دوراً جوهرياً في هذا السياق. وقد كانت هذه المدارس، تسعى إلى تطوير مهارات الطلاب في مجالات اللغة والفكر والخطابة، مستخدمة المسرح كوسيلة بيداغوجية فاعلة (أبو شهاب، 2017، ص111–112). في هذا الإطار، ظهرت أولى المسرحيات التربوية، التي كانت تقدم في مناسبات دينية كأعياد الميلاد والفصح، حيث تُعرض مشاهد درامية مستوحاة من نصوص الإنجيل، يجسد فيها الطلاب أدوار الأنبياء والشخصيات التاريخية والدينية، ونتيجة لذلك نشأت علاقة مباشرة بين الفضاء الديني والنشاط المسرحي، بحيث صار المسرح وسيلة لإيصال الرسائل الأخلاقية بطريقة مؤثرة وسهلة الفهم، وقد تطور الأمر ليشمل نصوصاً علمانية مستوحاة من الأدب الأوروبي، خاصة الفرنسي، حيث تم تقديم أعمال لموليير بعد ترجمتها وتعديلها لتناسب البيئة المحلية، وكان لهذا التطور أثره في تمديد قاعدة الجمهور وتجاوز الحدود الطائفية (الزبيدي، 1967، ص53)، إذ بدأ المسلمون يحضرون هذه العروض التي تقدم قيماً إنسانية مشتركة، كما ورد في مذكرات الأب أنستاس الكرملي (السامرائي، 1970، ص3).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وقد قُدِّمت تلك المسرحيات ضمن النشاطات التعليمية والدينية داخل هذه المدارس، ما منحها طابعاً شبه رسمي، وضمن لها القبول الاجتماعي في بيئة كانت تنظر إلى الفنون الأدائية بقدر من التحفظ، كان يُنظر إلى هذه الأعمال بوصفها أدوات تهذيب وتثقيف، وهو ما ساعد على استمرارها وانتشارها في أوساط تعليمية مختلفة، كانت هذه العروض تُؤدى غالباً باللغة السريانية في المراحل الأولى، نظراً لكونها اللغة الطقسية والثقافية المعتمدة لدى بعض الطوائف المسيحية في المدينة، فكان قبل غيره من كتب المسرحية في العراق هو الشماس حنا حبش (مؤتمر الأدب السرياني الثالث، 2006، ص96)، ومع مرور الوقت ونتيجة للانفتاح على المحيط العربي وتأثير النهضة الأدبية في المشرق، بدأ التحول التدريجي نحو استخدام اللغة العربية، خصوصاً في النصف الأول من القرن العشرين، لتوسيع قاعدة الجمهور وتسهيل الفهم، وقد ساعدت مطبعة الدومينيكان التي تأسست في الموصل عام 1869 على نشر النصوص المسرحية المترجمة والمؤلفة محلياً، مما اسهم في انتشار هذا الفن كما أن افتتاح المدرسة الإعدادية الرسمية في الموصل عام 1899 أدخل بعداً جديداً للنشاط المسرحي، حيث بدأ يتحول من كونه نشاطاً دينياً محضاً إلى وسيلة للتعبير عن هموم المجتمع وقضاياه (نخبة من الباحثين، 2009، ص53).

لم يوجد هناك خشبات مسرح أو قاعات مخصصة للعروض كما هو الحال في المؤسسات الفنية الحديثة، بل تم استخدام الصفوف الدراسية والقاعات الواسعة داخل المدارس والكنائس كمواقع للعرض، وقد أدى ذلك إلى ابتكار حلول بديلة تتناسب مع طبيعة المكان، كاستخدام الستائر للفصل بين المشاهد، والاستعانة بالأثاث المدرسي كجزء من الديكور المسرحي، ورغم بساطة هذه الإمكانيات، فقد نجح منظمو العروض في خلق جو درامي متكامل يثير انتباه الحضور ويحقق الأهداف التربوية المنشودة، وكانت هذه التجارب تمهد الطريق لظهور مسرح أكثر تطوراً في العقود اللاحقة، إذ بدأت تظهر عناصر جديدة كالإضاءة والديكور المستقل (عبد الحميد، 2013، ص177)، وقد واجهت هذه العروض المبكرة بعض المعارضة من قبل الأوساط المحافظة، لكن القائمين عليها استطاعوا تجاوز هذه التحديات من خلال التركيز على الجوانب التربوية والتعليمية، وتقديم نصوص تتفق مع القيم الدينية الإسلامية أيضاً، ومن الناحية النصية، استندت هذه المسرحيات في كثير من الأحيان إلى نصوص مترجمة أو مقتبسة من الأدب الأوروبي، لا سيما الفرنسي والإيطالي، وهو ما يظهر التأثير المباشر للبعثات الثقافية الأوروبية التي نشطت في الشرق الأوسط خلال تلك الفترة، وقد تركزت هذه النصوص على الموضوعات الدينية والقصص الأخلاقية، وتمت ترجمتها أو تبسيطها لتلائم السياق المحلي، فلم تكن عملية الترجمة حرفية،

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

بل ترافقت غالبًا مع تعديلات ثقافية ولغوية لتتلاءم مع طبيعة المتلقي العراقي وتقاليد، وبهذا الشكل بدأت الموصل تدخل تدريجيًا في حوار حضاري مع المسرح الأوروبي، مستفيدة من أدواته التقنية والفكرية، ولكن من دون أن تنفصل عن جذورها الثقافية والدينية، وكان هذا التفاعل أثره البالغ في تطور المسرح لاحقًا، إذ بدأ يتبنى قضايا وطنية واجتماعية، خاصة بعد انتقال العديد من رواد المسرح الموصليين إلى بغداد في العشرينيات، مثل حنا رسام (الجبوري، 2003، ص162) ويوسف رسام، الذين أسسوا جمعية التمثيل العربي عام 1927 (شهاب، 2009، ص368)، وكان الهدف الأساس لهذه العروض هو التربية الأخلاقية والدينية، لكنها في الوقت ذاته أرست ملامح تجربة فنية جديدة على المجتمع العراقي، وأسهمت في تحفيز الاهتمام بالمسرح كوسيلة للتعبير والتعليم، فقد بدأت النخب المتعلمة في المدينة، بمن فيهم رجال الدين والمربين، ينظرون إلى المسرح كأداة فاعلة لتطوير مهارات الخطابة والتمثيل واللغة، وكمجال يمكن من خلاله زرع القيم الاجتماعية وتنمية الحس الجمالي والوطني لدى الناشئة، وهذا التوجه التربوي المحافظ، وإن كان يختلف عن الفهم الحداثي للمسرح كأداة للنقد والتغيير، إلا أنه أسس لمكانة المسرح بوصفه نشاطاً ثقافياً مشروعاً ومقبولاً، وقد اتضح هذا التحول في ازدياد عدد العروض التي تقدم قضايا اجتماعية ووطنية، خاصة في فترة ما بين الحربين العالميتين، حيث بدأ المسرح يلعب دوراً في تشكيل الوعي الوطني العراقي (خضير، 2004، ص119).

إن أهمية تجربة الموصل لا تكمن فقط في كونها البداية الزمنية للمسرح العراقي، بل في أنها جسّدت الصراع الخفي بين التقليد والتجديد، بين المحافظة والانفتاح، بين الدين والفن، ونجحت رغم محدودية الموارد في خلق مساحة للتجريب المسرحي الذي مهّد الطريق لانبعاث هذا الفن في عموم العراق، ولهذا فإن أي دراسة جادة لتاريخ المسرح العراقي لا يمكن أن تتجاهل هذا الدور الريادي الذي لعبته مدينة الموصل في التأسيس والتجريب، وفي بناء وعي مبكر بأهمية المسرح بوصفه وسيلة للتعبير الجماعي والتربية الثقافية (شهاب، 2009، ص357)، وبالتالي فقد شكلت التجربة الموصلية نموذجاً للتفاعل الخلاق بين المحلي والعالمي، بين الأصالة والحداثة، وأثبتت أن الفنون يمكن أن تنمو وتزدهر حتى في أكثر البيئات تحفظاً، إذا ما وجدت القنوات والوسائل المناسبة لتقديمها، ولا تزال هذه التجربة تشكل مصدر إلهام للدارسين والممارسين للمسرح في العراق والمنطقة، لما تمثله من نموذج للتواصل الحضاري والإبداع الفني في ظل ظروف معقدة.

2.2. المبحث الثاني: تطور المسرح في بغداد وتبلور الهوية الفنية

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

مع مطلع القرن العشرين، انتقل النشاط المسرحي تدريجياً من الموصل إلى بغداد، التي أصبحت بحكم موقعها السياسي والاقتصادي و الثقافي المركز الأهم في العراق، لم يكن هذا الانتقال محض مصادفة، وإنما جاء نتيجة تراكمات ثقافية واجتماعية واقتصادية، جعلت من بغداد البيئة الأكثر قابلية لاحتضان الفنون الحديثة وتطويرها، وعلى رأسها المسرح، فشهدت بغداد خلال النصف الأول من القرن العشرين تحولات جذرية على مستوى البنية الحضرية، والتعليم، والإعلام، مما جعلها مركز جذب للمثقفين والفنانين من مختلف المدائن العراقية، وفي مقدمتها الموصل والبصرة (صقر، 2003، ص357).

في هذه المدينة المتنوعة ثقافياً ودينياً وعرقياً، تطور المسرح بسرعة ملحوظة، مستفيداً من الحراك الثقافي العام، وازدهار المنشات التعليمية، والبعثات الأجنبية، والاحتكاك المتزايد مع العالم العربي والغربي (توفيق، 2013، ص132)، أحد الاسباب الاساسية التي ساعدت على ذلك هو انتشار المدارس الحديثة التي اعتمدت المناهج الغربية، واهتمت بتطوير شخصية الطالب من خلال الفنون والأنشطة اللاصفية، بما في ذلك التمثيل المسرحي، ومن أبرز هذه المدارس المدرسة الرشدية ومدارس الطائفة اليهودية مثل مدرسة الآليانس، التي كانت تتبنى رؤية تربوية تقدمية وتشجع على المسرح المدرسي كأداة لتنمية مهارات اللغة والتعبير والثقة بالنفس (الهلالي، 2024، ص250).

لم تكن العروض المسرحية في تلك المدارس مجرد تقليد لأساليب تعليمية أوروبية، بل كانت بمثابة المختبر الاول لولادة المسرح العراقي الحديث، إذ بدأت العروض تنتقل تدريجيًا من النصوص الأخلاقية أو التعليمية المبسطة إلى محاولات أكثر نضجاً في الاقتباس أو التأليف المحلي، مما سمح بظهور الجيل الناشئ من الطلاب والأساتذة الذين أدركوا أهمية المسرح بوصفه وسيلة فكرية وتربوية وثقافية، فبرزت أسماء عدة من الرواد الذين أسهموا في تأصيل هذا الفن خارج الإطار المدرسي، إذ عملوا على تطوير النص المسرحي، وتجريب تقنيات تمثيلية جديدة، ومحاولة تقديم المسرح إلى جمهور أوسع من النخبة الطلابية أو الدينية، ليصبح نشاطاً عاماً يحظى باهتمام المجتمع، في موازاة هذا التطور، كان إنشاء معهد الفنون الجميلة في ثلاثينيات القرن العشرين (جزراوي، 2004، ص50)، بإشراف وبمساهمة مثقفين ومسرحيين عراقيين وأجانب، خطوة مفصلية في انتقال المسرح من الهواية إلى الاحتراف، فقد أصبح المعهد المؤسسة الأكاديمية الأولى التي تؤهل الممثلين والمخرجين والكتّاب المسرحيين على أسس علمية وتقنية مستوحاة من المدارس المسرحية الغربية، خاصة الفرنسية والروسية، وكان لهذا المعهد فضلا كبيرا في تخريج نخبة من الأسماء التي قادت الحركة المسرحية في العراق لاحقًا، مثل إبراهيم

جلال ويوسف العاني، والذين لم يكتفوا بالعمل المسرحي التقليدي، بل سعوا إلى ربط المسرح بموضوعات المجتمع وهمومه السياسية والاجتماعية (مصباح، 2004، ص175).

تزامن هذا التطور الفني مع متغيرات سياسية مهمة في تاريخ العراق الحديث، بدءًا من العهد الملكي، ثم قيام الجمهورية عام 1958 (زكي، 2011، ص32)، وصولًا إلى فترة حكم حزب البعث (القيسي، 2014، ص125)، وقد تباين تأثير هذه الأنظمة على المسرح بين فترات دعم ورعاية، وفترات رقابة وتوجيه، ففي مرحلة الجمهورية، بدأت الدولة تتبنى المسرح بوصفه أداة تثقيف جماهيري، حيث تأسست مؤسسات رسمية مثل الفرقة القومية للتمثيل ودائرة السينما والمسرح، اللتان أسهمتا في توسيع قاعدة العمل المسرحي وتوفير بنية تحتية داعمة للإنتاج الفني، بما في ذلك قاعات العرض، وفرق التمثيل، والدعم المالي والإعلامي (أديب، 2013، ص85).

وعلى الرغم من هذه الرقابة التي فُرضت على النصوص المسرحية، فقد شهدت فترة الستينيات والسبعينيات ذروة النضج المسرحي في بغداد، حيث ظهر المسرح النقدي والاجتماعي بقوة، فاتجه المسرحيون إلى استخدام تقنيات فنية متقدمة في الإخراج والإضاءة والسينوغرافيا، مستفيدين من التجارب العالمية، وخصوصًا المسرح الروسي (ستانيسلافسكي) والمسرح الألماني (بريشت)، ولكن مع تطويع هذه النظريات لتلائم الواقع العراقي. لم تكن هذه الفترة مجرد عصر للكم في الإنتاج المسرحي، بل اتسمت بالنوعية العالية، حيث قُدمت عروض تتناول مواضيع تتعلق بالفساد، والصراع الطبقي، والهوية الوطنية، مما جعل المسرح وسيلة للتأمل في الذات الجماعية للعراقيين، وتميزت هذه المرحلة كذلك بابتكار أشكال جديدة من الأداء المسرحي، من خلال دمج الفنون الشعبية العراقي—كالأهازيج والموروث الفلكلوري والقصص الشعبية—مع تقنيات الحداثة الغربية، ما أفرز تجربة فنية عراقية خالصة، تحتفي بالبيئة المحلية دون أن تنغلق على ذاتها، وهنا ظهرت سمات ما يمكن تسميته بـ"الواقعية الرمزية، وهي أسلوب اتبعه كثير من المسرحيين كوسيلة للتعبير غير المباشر عن القضايا السياسية والاجتماعية، في ظل قيود الرقابة"، فسمح هذا الأسلوب للجمهور بفهم الرسائل العميقة للمسرحية دون اصطدام مباشر مع السلطة، وأتاح للمبدعين مساحة من المناور الفنية (زيدان، 2025، ص85).

ومن خلال هذا التراكم الثقافي والفني والسياسي، تشكلت في بغداد هوية مسرحية عراقية فريدة، تمزج بين الموروث الثقافي المحلي، والتقنيات الغربية، والهموم الإجتماعية اليومية، فقد استطاع المسرح في بغداد أن يكون مرآة حقيقية للمجتمع العراقي، بكل ما فيه من صراعات وتحولات، وظل طوال القرن العشرين أحد أهم أدوات التعبير الثقافي الجماعي، وإذا كانت بداياته قد تبلورت في المدارس والأديرة

والكنائس في الموصل، فإن نضوجه الفعلي حدث في فضاءات بغداد المفتوحة، بين قاعات العرض الرسمية والمقاهي الثقافية والأحياء الشعبية، مما جعل من المسرح العراقي تجربة حضارية فريدة في السياق العربي الحديث.

3. الخاتمة:

ختاما حول الجذور التاريخية والتطورات الفنية للمسرح العراقي من الموصل إلى بغداد، فقد بلغت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها:

وضّحت الدراسة الجذور الدينية والتعليمية، إذ نشأ المسرح العراقي في الموصل كممارسة تربوية مرتبطة بالمدارس التبشيرية المسيحية، مستفيداً من البيئة الدينية والثقافية المتنوعة للمدينة، فتغير المسرح من أداة لنشر القيم الدينية إلى وسيلة للتعبير عن قضايا اجتماعية ووطنية، خاصة بعد انتقاله إلى بغداد.

بيّنت الدراسة التفاعل بين المحلي والعالمي، إذ تأثر المسرح المبكر بالتأثيرات الأجنبية (خاصة الفرنسية)، لكنه طوّعها لتناسب السياق العراقي، مما اسهم في تكوين هوية مسرحية مميزة، فتمازجت النصوص المقتبسة من الأدب الأوروبي مع الموروث المحلي، مما أثرى التجربة المسرحية وجعلها جسرًا بين الأصالة والحداثة.

أظهرت الدراسة أن المسرح شهد في بغداد نقلة نوعية بفضل المؤسسات الأكاديمية (مثل معهد الفنون الجميلة) ودعم الدولة الجزئي، مما اسهم في تحوله من هواية إلى احتراف، فبرزت أسماء رواده، الذين ربطوا المسرح بقضايا المجتمع، مستخدمين تقنيات حديثة مثل الواقعية الرمزية لتجاوز قيود الرقابة.

بيّنت الدراسة أن المسرح مرآة للمجتمع، فقد مثّل المسرح العراقي وسيلة للتعبير عن التحولات السياسية والاجتماعية، من العهد الملكي إلى الجمهوري، ورغم تعرضه لموجات من الرقابة والتوجيه، فقد نجح في الجمع بين التراث الشعبي (كالفلكلور والأغاني الشعبية) والتقنيات الغربية، مكوّناً مدرسة فنية عراقية فريدة.

أكدت الدراسة على الدور التأسيسي للموصل في تأريخ المسرح العراقي، والذي غالباً ما تم إغفاله في الدراسات العربية لصالح المراحل البغدادية اللاحقة، كما بيّنت كيف شكلت التجربة الموصلية نموذجاً للتفاعل بين الفن والدين والمجتمع في بيئة محافظة.

بيّنت الدراسة أن المسرح العراقي مثّل حالة ثقافية فريدة عكست تعقيدات التاريخ العراقي وتنوعه، بدءًا من جذوره الموصلية المتواضعة وصولاً إلى نضجه في بغداد كفن جماهيري مؤثر ، ورغم الصعوبات

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

السياسية والاجتماعية، استطاع المسرح الحفاظ على ديناميته كأداة للتعبير عن الشخصية والتطلعات الوطنية.

4. التوصيات:

تعزيز الدراسات الأكاديمية عن المسرح الموصلي، من خلال تشجيع الباحثين على إجراء مزيد من الدراسات حول دور الموصل التأسيسي في المسرح العراقي، وتوثيق العروض والنصوص المسرحية المبكرة التي ظهرت في مدارسها وكنائسها.

حماية التراث المسرحي العراقي عبر إنشاء أرشيف وطني يضم الوثائق والصور وتسجيلات العروض المسرحية التاريخية، لحماية هذا الإرث الثقافي من الاندثار، خاصة بعد الأضرار التي لحقت بالبنية التحتية الثقافية في العراق بسبب الحروب.

ربط المسرح بالمناهج التعليمية عبر إدراج مادة عن تأريخ المسرح العراقي في المناهج الدراسية، وخاصة مراحل التعليم العالي، لتعريف الجيل الجديد بتطور هذا الفن ودوره في تصحيح الهوية الوطنية.

دعم المسرح المستقل تجريبياً ومالياً بواسطة توفير دعم مؤسسي للفرق المسرحية المستقلة التي تسعى لتجديد الخطاب المسرحي، مع التركيز على دمج التقنيات المعاصرة مع الموروث المحلي، وتشجيع المشاركات في المهرجانات العربية والدولية.

تعزيز الحوار بين المسرح والتراث الشعبي من خلال تشجيع المسرحيين على استلهام الحكايات والأغاني الشعبية العراقية في أعمالهم، وإقامة ورش عمل تهدف إلى تطوير نصوص مسرحية تعكس التنوع الثقافي للعراق دون إغفال قضاياه المعاصرة.

المصادر والمراجع

[1] أبو شهاب، سناء نمر. (2017). مدخل إلى التربية الأخلاقية والتعليم وآثارهما على إنماء المجتمع. دار المعتز للنشر والتوزيع.

[2] أديب، قلية جي. (2013). 79 عاماً من مسيرة المسرح في العراق. وزارة الثقافة.

[3] ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني. (1996). البلدان (تحقيق: يوسف الهادي). عالم الكتب.

[4] الجبوري، كامل سلمان جاسم. (2003). معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002. دار الكتب العلمية.

[5] جزراوي، مهيمن ابراهيم. (2004). الخصائص اللحنية والإيقاعية في الأغاني المرافقة للمقام العراقي. مطبعة الإنعام.

[6] الحسني، عبد الرزاق. (2013). رحلة في العراق. دار الرافدين.

[7] الزبيدي، علي. (1967). المسرحية العربية في العراق. مطبعة الرسالة.

[8] زكي، مأمون أمين. (2011). ازدهار العراق تحت الحكم الملكي 1921–1958: دراسة تاريخية سياسية اجتماعية مقارنة. دار الحكمة.

[9] زيدان، محمد. (2025). بلاغة النص المسرحي المعاصر: بحث في فلسفة الحالة المسرحية. مركز الكتاب الأكاديمي.

[10] السامرائي، عامر رشيد. (1970). الأب أنستاس ماري الكرملي. مطبعة الجمهورية.

[11] شهاب، مصطفى محمد حسين. (2009). المسرح العربي: تاريخ وتقويم 1847–1975. دار السنابل.

[12] شيخو، لويس. (1908). الآداب العربية في القرن التاسع عشر. مطبعة الآباء اليسوعيين.

[13] صقر، إياد. (2003). الفنون الإسلامية. دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

[14] عبد الحميد، سامي. (2013). المسرح العراقي في مائة عام. وزارة الثقافة.

[15] القيسي، عدي نجم عبد الله حسين. (2014). التطورات السياسية والاقتصادية في لواء الدليم 1945–1958 (رسالة ماجستير، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية).

[16] مصباح، منيرة. (2004). حوارات وإشراقات في نصف قرن من السياسة والفكر والأدب والفن. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

[17] مؤتمر الأدب السرياني الثالث. (2006). الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

[18] نخبة من الباحثين. (2009). الإصلاح والنهضة: دراسات في إمكانات الإصلاح. مؤسسة العارف للمطبوعات.

[19] النورة، ماهر حامد جاسم. (2022). المدارس الأهلية والأجنبية في ولاية الموصل منذ أواخر العهد العثماني وحتى نهاية العهد الملكي في العراق 1958م. دار ورد للنشر والتوزيع.

[20] الهلالي، عبد الرزاق. (2024). تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني 1638–1917. دار الرافدين للطباعة.